أبو الفنون يعاني الفقر ودوره غير فاعل في مسرح الطفولة والعرائس

تماضر غانم لـ«الوطن»: أدافع عن نفسي باعتباري ممثلة مسرح أطفال... لأن صدقي منهم وجهدي أبذله كي يصل إحساسي إليهم

مسرح الطفولة ومسرح العرائس هو مسرح تعليمي تربوي بامتياز

| سوسن صيداوي

اللعب.. هو تلك الآليّة التي يصوغها الطفل في أجوائه المتنوعة والمرتبطة بنشاطاته لينطلق عبر عفويته الفطرية لإدراك ذاته الخاصة، وذوات الآخرين المحيطين في بيئته، فمن اللعب تتراكم التجارب والمهارات أو الخبرات، وخاصة أن من خلاله يكون هناك محاولات تقليد أو تقمص شخصيات مع ظهور تعبيرات انفعالية أو سلوكيات عاطفية يعبّر من خلالها عن حياته الحقيقية الفعلية. هذه الأمور كلّها كانت من الأسباب التي تنبّهت لها الحضارات كي تتابع في تطور مجتمعاتها، على اعتبار أن الطفل هو ركيزة المستقبل ومنه هو بالذات ينطلق البناء، فتنوعت المسارح بتنوع الحضارات الشرقية والغربية، ومع اختلافها اختلفت الشخصيات والقصص والحكايات التي يُحييها مسرح الأطفال أو تجسدها عرائس مسرح الدمى. وحول الكثير من القضايا التي تشغل مسرح الطفولة ومسرح العرائس كان لنا اللقاء مع الممثلة المسرحية تماضر غانم التي تفتخر بكونها ممثلة مسرحية للأطفال، لأن هذا المسرح بوابة الصدق والعبور إلى حقيقة قلوب الآخرين. بدأت مسيرتها المسرحية منذ عام ١٩٩٦، متدربة على يد سعد الدين بقدونس، كما تدربت في مسرح العرائس في قسم الدمى والتصنيع، وبقيت فيه نحو أربع سنوات، بعدها توظفت في المسرح العسكري كي تلبي حاجاتها اليومية ومازلت تمثل فيه إلى حد الآن، ولم تتابع دراستها في المعهد العالي للفنون المسرحية لظروف خاصة، لكنها اتجهت نحو نقابة الفنانين فهي عضو فيها منذ عام ٢٠٠٣، وفي الوقت الحالي عضو مجلس إدارة ورئيس مكتب العلاقات العامة.

مسرح العرائس هو الأصعب

لقي مسرح الدمى والعرائس في تطوره التاريخي، ترحيبا كبيراً في الغرب والشرق على حد سواء. في حين، يلقى التعثر والمطبات في عالمنا العربي، بسبب عدم اهتمامنا بتربية أطفالنا منذ الصغر وتعويدهم على ثقافة الفنون بأنواعها من رسم تشكيلي ونحت إلى الموسيقا والمسرح والسينما، هذا بعكس الآخرين الذين تنبّهوا إلى ضرورة هذا المسرح وأخذوا يسعون بكل جهدهم إلى تطوير آليته وتنفيذ العروض وتقديمها للأطفال، ولكن لنبقى في سورية الوطن، وحول كيفية تقديم العروض المسرحية في مسرح العرائس تحدثت الممثلة تماضر غانم قائلة «مسرح العرائس هو من أصعب المسارح، وإذا كان الممثل يحب هذا المسرح سيستمتع كثيراً، لأنه سيتعلم من خلاله كيفية تصنيع الدمى وحتى تحريكها، ويقوم بنقل حسّه إلى الدمية التي يمثل خلالها في المسرح، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك توجهاً ومطالبة بأن يكون لاعب العرائس هو الممثل نفسه، فالواقع فرض أن يكون هناك شخصان، هما اللاعب والممثل، والاثنان مختلفان عن بعضهما، فالممثل يسجل صوته في الاستديو، واللاعب هو الذي يحرك اللعبة على المسرح. وبالنسبة لي منذ البداية كنت ممثلة ولاعبة عرائس، حيث نقوم بتسجيل المسرحية في الاستديو وهنا يكون اهتمامنا كبيراً في الأداء الصوتي، وأثناء المسرحية يبقى علينا تحريك الدمية، وبالطبع كلامي هذا لا يقلل من أهمية دور اللاعب، لأن عليه أن يقوم بفهم المسرحية كلّها وحفظ النص، ويحرك الدمية بأيديها وأقدامها وحتى في عيونها وفمها، وهنا دائماً أتذكر كلام المخرجة سلوى الجابري التي كانت تقول لنا: إنها تريد أن ينسى الطفل بأن أمامه دمية، وبالفعل بعد انتهاء العرض عندما كنا نخرج لنحيّي الجمهور، كان الأطفال يندهشون لوجودنا خلف الدمى لأنهم نسوا بأن خلف الدمية هناك شخص، وهذا هو الأمر الصعب في مسرح العرائس لأن على الممثل أن يصل إلى ما يمكنه التعبير عنه بوحدة حال بين الممثل والدمية».

مسرح الطفولة الأصدق والأصعب

حذار أن تستخف بطفل أو أن تعتبر إقناعه أمراً سهلاً، فرغم أنه كائن صغير، الاستهانة بذكائه وبقدرة إدراكه والتقاطه لما يجول حوله من أمور هو أمر جد خطير، لهذا الوقوف أمامه على خشبة المسرح ليس بالأمر الهين، على عكس ما يشاع حول مسرح الأطفال أو مسرح العرائس من استخفاف، وللمزيد حول هذين المسرحين تحدثنا الممثلة غانم عن تجربتها قائلة «أدافع عن نفسي دائما، باعتباري ممثلة مسرح أطفال، فأنا آخذ صدقي من الطفل، وأبذل جل جهدي في عملي كي يصل إحساسي إليه، فهو أكثر إدراكاً للأمور من الكبار، وعلى خشبة المسرح الأمر ليس سهلا أن نوصل الأفكار والمشاعر إليهم. إذاً علي الممثل وبالعموم أن يكون صادقاً مع نفسه أولاً كي يستطيع أن يعتلي خشبة مسرح الأطفال ويقف أمامهم. وهنا أسعى دائماً كي أطور نفسي من خلال قراءاتي لعلم نفس الأطفال وكتب الأدب والحكايات المخصصة لهم، ومتابعاتي للأعمال الكرتونية وبرامجهم، واندماجي الدائم بهم، فقضاء الوقت معهم يضيف إلى الممثل الكثير من الحركات والتصرفات الطفولية، التي يمكن استغلالها وتوظيفها في المسرحية. وبالفعل هناك شريحة كبيرة من الممثلين الذين يستخفون ويستسهلون مسرح الأطفال ودمى العرائس، لكن كما ذكرت فإن إيصال الفكرة إلى الطفل هو من أكثر الأمور تعقيدا. وبالنسبة للأعمال المسرحية التي شاركت بها فهي متنوعة بين مسرح الطفولة والعرائس وهي على سبيل الذكر: ضيف الدب، بياع العسل، الملك شرحبيل والفتى النبيل، سلمى والغيلان، ممتاز يا بطل، الوردة البرية، رحلة الأصدقاء الستة، حيلة أرنوب ضد ثعلوب».

المسرح البنّاء يحتاج إلى البناء

حجر الأساس في البناء هو الأهم للثبات والتحمّل مهما طال الزمن، وكيف إذا كان البناء والتأسيس المقصود به تربية الطفل وتنميته، باعتباره كما قلنا ركيزة أساسية للمستقبل، وبالنسبة لنا المشكلة قائمة في عالمنا العربي، وهي إغفال أهمية دور مسرح الأطفال ودمى العرائس في تنشئة الطفل وتوسيع مداركه الحسية والتعليمية، ومساعدته على تطوير شخصيته واكتساب المهارات، وإطلاق خياله الإيجابي، ليس هذا فقط بل تقديم نصح أخلاقية وإنسانية تمكنه من التعايش والاندماج دائماً في المجتمع مهما اختلفت الظروف أو الأشخاص من حوله، كل هذا ضمن جو تمثيلي يحرك المشاعر وينعش فكر الأذهان. وحول ما يعانيه مسرحنا من صعوبات ومطبات، إضافة إلى أمور أخرى جد مهمة تسلّط عليها الضوء الممثلة تماضر غانم قائلة: «يتطلب هذا المسرح من الممثل أن تكون مخارج حروفه واضحة وصحيحة، وكذلك لا يجوز للممثل أن يرتجل بأي كلام مشين، أو غير مؤدب، أو أن ينعت الممثلين معه في المسرحية وتحت أي ظرف بأي صفة سيئة، ولو على سبيل المزاح، أو أن يقوم بأي إشارة غير أخلاقية، لأن مسرح الطفولة ومسرح العرائس هو مسرح تعليمي تربوي، إذاً هذا الأمر يتطلب منا تركيزاً عالياً وجهداً كبيراً كي لا تفلت منا أي كلمة. هناك الكثير من الصعوبات التي تواجهنا وأهمها رغم أهمية هذا المسرح، فقره الكبير، فالأجور ضعيفة جداً لا يمكن مقارنتها بالتعب والجهد والمبذول، وهو من أحد الأسباب التي تبعد العديد من الفنانين عن الالتحاق به، هذا بالإضافة إلى أنه مظلوم إعلامياً، فمثلاً آخر عمل اشتغلته على مسرح العرائس في عام ٢٠١٥، وعندما قمت بدعوة أصدقائي من فنانين وإعلاميين كي يحضروا العرض، كان الكل يضحك ويستخف ويقول لي «لما يكون عندك عرض للكبار إبقي خبرينا»، ليس هذا فقط، الأمر الذي يفاجئني حتى من الأهالي، أنهم يعلمون أطفالهم دروسهم وغيرها من أمور باستخدامهم الدمى، وبتشكيل الدمى عن طريق الأقلام والأوراق الملونة، وما أستغربه هنا أنهم يهملون مسرح العرائس ولا يحضرون أطفالهم إليه، فالجمهور يكون بتنظيم حضوره عبر المدارس، رغم أن وزارة الثقافة مهتمة جداً إلا أن التعاون بين المديريات ليس بالمستوى المطلوب، فالمراكز الثقافية يجب تفعيلها لتعمل في هذا المجال بشكل أكبر، وخاصة لأن لدينا رصيداً مسرحياً كبيراً، وما تهتم به المراكز هو الشعر والكتب والفن التشكيلي، إذاً لماذا لا يتبنى المركز الثقافي العروض التي نقدمها على خشبة مسرح القباني بدلاً من إهمالها؟ ولماذا لا يتم تفعيل هذه العروض عبر المراكز الثقافية بالمحافظات أو حتى نستغل حديقة تشرين الكائنة في دمشق، في الصيف والربيع لعرض المسرحيات؟ أتمنى أن تكون هناك خطوات جادة من المؤسسات المعنية وأن توسع شبكة التعاون بينها، كي لا يبقى مسرح الطفولة مهملاً أو يبقى مسرح العرائس منسياً وقائماً بمساع وجهود شبه فردية».

الصداقة الحقيقية إلى أين؟

في ظل سيادة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي

| هبة الله الغلاييني

في دراسة حديثة قامت بها شركة ipsos لإحصاءات عن المكانة التي يحتلها فيسبوك في حياة العرب، كشفت أنه يوفر مجالاً لحياة افتراضية كاملة بموازاة حياتنا الطبيعية، وغالباً ما يكون ملاذاً لكثيرين ممن يجيدون تكوين صداقات حقيقية لتكوين صداقات افتراضية. هذا الطرح يأتي في وقت يتساءل فيه البعض ما إذا كانت الصداقة الحقيقية يمكن أن تتحقق عبر شبكات مواقع التواصل الاجتماعي، وهل في الإمكان أن تتجاوز علاقة الصداقة عوائق البعد الجغرافي ومعطيات العالم الافتراضي؟ وهل من الممكن أن تصل إلى مرتبة الصداقة الحقيقية، أم إنها تبقى في نطاق التعارف بقصد التسلية والدردشة وقضاء الوقت؟ ولعل السؤال الذي يلخص ذلك كله هو: عند محاولة وضع كلتا العلاقتين في ميزان الصداقة أيهما سترجح كفته.. كفة الصداقة الحقيقية أم كفة الصداقة الافتراضية؟

تقول مديحة الأطرش (ربة بيت): «بالنسبة إلي فإن الصداقة الحقيقية تأثرت في زمن الإنترنت وأصبحت شيئاً من الماضي في حياتي وتضيف: «أنا خسرت صديقة عمري بسبب موقف معين»، لافتة إلى أن خسارتي لصديقتي الحقيقية كانت صعبة على نفسي، لذا لجأت إلى أصدقاء جدد أتواصل معهم عبر شبكات التواصل من دون معرفة سابقة، وقد أصبحوا قريبين إلى قلبي وعقلي، فأنا أستدعيهم في أي وقت بضغطة زر لنتناقش في موضوعات عامة لا تخرج عن إطار الدردشة العادية والفضفضة في الطبخ والتجميل وتبادل المعلومات، لكنهم نجحوا في تعويضي عن الصداقة الحقيقية، وخاصة بعد أن تزوجت وانشغلت برعاية زوجي وتربية أبنائي فلم أعد أشعر بالوحدة ولا بالضيق.. بدوره يؤكد أحمد الحاج أحمد وهو موظف أنه لا يحتاج إلى صديق حقيقي، لأنه يتواصل مع أصدقاء من جميع الأجناس على صفحات فيسبوك ويتابع قائلاً: إن هذه العلاقات الإلكترونية يمكن أن تتطور بمرور الوقت وتتحول إلى صداقة متينة وأكثر جدوى من صداقة يبحث عنها الإنسان وجهاً لوجه. ويكمل قائلاً: إن أصدقاء الإنترنت يقومون بالدور نفسه الذي يقوم به الأصدقاء الحقيقيون، ذلك أنهم يقدمون لي المساعدة والاستشارة وما علي سوى أن أطرح المشكلة على فيسبوك لتوافيني الحلول والخبرات والاقتراحات في غضون أقل من دقيقة، لهذا لم أعد منشغلاً في البحث عن صديق حقيقي.

وتوافق نور الملقي (طالبة) على ما ورد في الرأيين السابقين حيث تقول: «إن أهمية الصداقة الحقيقية تراجعت في زمن الإنترنت، وأصبحنا لا نحتاج إلى صديق بالمعنى التقليدي للكلمة، بعد هذا التغيير التكنولوجي الكبير الذي طرأ على حياتنا» وتفسر نور رأيها بالإشارة إلى «أن الحاجة إلى هذا النوع من الأصدقاء، تراجعت في ظل دخول أشخاص افتراضيين إلى شبكات التواصل الاجتماعي كما لديهم الاستعداد للقيام بالدور ذاته الذي يقوم به الأصدقاء الحقيقيون بما في ذلك الاستماع والمشاركة والدعم وإسداء النصح».

أما ياسمين العمر وهي أيضاً طالبة فتؤكد أن من الصعب أن تستبدل صداقاتها الحقيقية بصداقة الإنترنت. وتقول: «الصداقة الحقيقية تدوم طويلاً لأنها مبنية على عشرة يتقاسمها شخصان وذكريات تجمعهما، سواء أكان على مقاعد الدراسة أم في العمل أو في الجيرة، وتتبلور بينهما قواسم مشتركة في الميول والأفكار والاهتمامات، وهذا ما يضفي على علاقة الصداقة قيمتها الحقيقية التي تجعل من الصعب التخلي عنها».

وتضيف ياسمين: إن صديقتي هي الإنسان الوحيدة التي أثق فيها وأفتح لها قلبي، وتعرف عني كل شيء وتقدم لي المساعدة بلا مقابل ومن منطق عقلاني بحت، ترى ياسمين أن صداقة الإنترنت وقتية لا تدوم، ومن عدم الحكمة جعل أصدقاء الإنترنت موضع ثقة، لأنهم أناس مجهولون بالنسبة إلينا لا نعرفهم على وجه اليقين. وبالتالي، يصعب الجزم بسلامة نياتهم وأهدافهم.

من ناحيتها ترى إلهام الشيخ، موظفة: إن الصديق هو الإنسان الذي تستطيع أن تجده حاضراً إلى جوارك ليقاسمك أفراحك وأتراحك وهذا أمر عصيب يصعب تصوره مع الأصدقاء الافتراضيين. لذا فهي ترى أن الأشخاص الذين يتواصلون عبر شبكات التواصل الاجتماعي هم معارف مؤقتون يظهرون ويختفون. لذلك من الصعب اعتبارهم أصدقاء بالمعنى الحقيقي للكلمة. لكن إلهام لا تنفي دور شبكات التواصل الاجتماعي في تدعيم العلاقات الصادقة القائمة بالفعل بين الأصدقاء، وتقول موضحة: أنا عندي صديقتان حقيقيتان تجمعني معهما اهتمامات وميول واحدة منذ أيام الدراسة، وقد أسهم الإنترنت في تدعيم هذه العلاقة، حيث يبقينا على التواصل الدائم معاً مهما باعدت بيننا الأيام أو سافرت إحدانا إلى بلد آخر أو تزوجت، حيث يظل التواصل مستمراً في زمن أصبح من النادر فيه أن تجد الإنسان صديقاً حقيقياً يصدقه القول والرأي.

من جهتها: ترى أسماء الملقي أن الصداقة الحقيقية أصبحت في خطر في ظل هذا الانفتاح على الصداقات الإلكترونية، لكنها تستدرك قائلة: إن علاقتي بأصدقائي لم تتأثر بسبب معارف الإنترنت الذين لا يشكلون إلي سوى معارف أو أصدقاء مجهولة على الإنترنت لا أعرف ملامحها إلا من خلال صورة وهمية، ووجودها على صفحات الإنترنت لا يتعدى مجرد رقم من بين مئات الأرقام التي تتواصل مع بعضها بعضاً بغرض التسلية وكسر الملل.

وتوضح الدكتورة إيمان حجازي، استشارية إرشاد نفسي: إن الصداقة الحقيقية تتميز بالدوام النسبي في استمرارية العلاقة، وتعتمد على التقارب العمري والفكري والروحي، فضلاً عن تقارب الخصائص والميول والاهتمامات والسمات الشخصية والظروف الاجتماعية بين الأطراف.

وتتابع مؤكدة «أن بعض الدراسات توصلت إلى أن الصداقة لها تأثير مباشر في الصحة النفسية والجسدية للإنسان، فقد وجد أن نسبة الوفيات ترتفع بين الأشخاص الذين لا يسعون إلى تكوين صداقات أو الذين لديهم عدد محدود من الأصدقاء، حيث إنهم أكثر عرضة لأمراض القلب والسرطان والتوتر النفسي». وتقر الدكتورة أمل بأن «الثورة التكنولوجية ودخول الإنترنت حياتنا، خلقت نوعاً جديداً من الصداقات وأساليب التواصل مع أعداد كبيرة من الأشخاص على صفحات «فيسبوك» أو «تويتر» وعلى الرغم من ذلك لا يمكن أن نطلق على هؤلاء الأشخاص سوى معارف لأنهم ليسوا أصدقاء حقيقيين»، موضحة «أن الدردشة عبر فيسبوك وعلى صفحات التواصل الاجتماعي، تحددها أطر معينة على قدر المعلومات المتاحة للطرف الآخر، ليستفيد منها أو أن يشارك في الرأي في موضوع معين، ولكن في غياب عنصري المعرفة الوثيقة والثقة المتبادلة، فإن مثل هؤلاء الأشخاص يمكن أن يصبحوا مصدر خطر في حال القيام بالبوح بأسراره، من باب الفضفضة، فيقومون باستغلالها في التهديد والابتزاز».

إن الفجوة الاجتماعية التي حدثت بين الناس، والتباعد الناجم عن الانشغال بأمور الحياة، جعلا كثيراً من الناس يلجؤون إلى الصديق الإلكتروني الذي يصعب الجزم بشأن حقيقة هويته ودوافعه وغاياته من وراء تلك العلاقة أو الدردشة وفي بعض الحالات، ربما يصل الأمر إلى حد التعود على هؤلاء المعارف الافتراضيين، ليعيش الإنسان معهم في عالم غير واقعي منفصلاً عن المحيط الاجتماعي والنفسي الذي يرتبط به، وكثيراً ما تكون نهاية هذه الصداقة الفشل، لأنها تفتقر لكثير من مقومات الصداقة الناجحة.